أنطون تشيخوف

المسرحية الحادية عشرة

أليوبيل

ملهاة ذات من فصل واحد

العنوان الأصلي للمسرحية:

Anton Tchekhov

Le Jubilé
Farce

يُتْرِعُ المسـرحـيـون أعـمـالهم بالملائكة والأوغـاد والمهـرّجين فقط... ورغبت أنا في أن أكـون أصيلاً، فليس لديّ من لصّ ولا حـتى من مـلاك (رغم أني لم أقـوَ على الاسـتـغناء عن المهرّجين)، وما اتّهمت أحداً ولا برّأت من أحد.

تشيخوف

الشخصيات:

أندريه اندرييتش شيبوتشين، رئيس مجلس إدارة شركة «التسليف التضامني». وهو رجل متوسط العمر، يضع نظارة أحادية.

تاتيانا اليكسييفنا، زوجته، في الخامسة والعشرين.

ميرشوتكينا ناستازيا فيدروفنا، امرأة مسنّة ترتدي معطفاً.

أعضاء مجلس الإدارة، موظفو المصرف.

يجري المشهد في مصرف «التسليف التضامني».

مكتب رئيس الإدارة. إلى اليســــار، باب يؤدي إلى المصرف. طاولتا مكتب. أثاث مُتكلّف، مقاعد بطائنها من القطيفة، باقات من الزهر، تماثيل، سجّاد، جهاز هاتف. الثانية عشرة ظهراً.

على خشبة المسرح، كيرين وحده ينتعل جزمة من اللبْد.

كيرين (وهو يقف على عتبة الباب، صارخاً نحو الخارج): أرسلوا أحداً إلى الصيدلية ليشتري فاليريان بخمسة عشر كوبيكاً، وهاتوا شيئاً من الماء البارد إلى مكتب المدير! أم ينبغي تكرار الطلب على مسامعكم مئة مرة! (يذهب إلى طاولته). إنّي مرهق. ها أنذا منذ أسبوع أكتب ليلاً ونهاراً، من غير أن يغمض لي جفن. أكتب هنا من الصباح حتى المساء، ومن المساء حتى الصباح أكتب في البيت. (يسعل). وانتابتني من جرّاء ذلك أوجاع تكسّر في كافة أنحاء جسدي. هذا مع نوبات رجفة، وحمّى قوية، وسعال وطفح في الساقين واحتقان شديد... في العينين. (يجلس). أمّا رئيس مجلس إدارتنا، ذلك القرد النذل، فعليه أن يقرأ اليوم أمام الجمعية العامة تقريره، بعنوان: «مصرفنا حاضراً

ومستقبلاً». لكن هاكم مثيل لغامبيتا[1]. (يكتب) اثنان... واحد... واحد... ستة... صفر... سبعة... ثم ستة... صفر... واح... ستة. إنّه عازم على ذرّ الرماد في العيون، أمّا أنا، فعليّ أن أبقى مسمّراً على كنبتي أعمل من أجله، وأن أبذل جهداً مضنياً. ولا يعمد السيّد في تقريره لأكثر من نظم الشعر، أمّا أنا فعليّ أن أنسّق الأرقام طول أيام بحالها. ألا فليأخذه الشيطان لأنّني لم أعد أقوى على تحمّله! (يكتب). قلنا: واحد... ثلاثة... سبعة... ثلاثة... واحد... صفر... وعدني بمكافأة. إذا ما سار كل شيء على ما يرام اليوم، وإذا ما توصّل إلى خداع الجميع، فسوف أنال مدالية ذهبية وثلاث مئة روبل على شكل هبة... سوف نرى. (يكتب) أما إذا جعلتني أؤدي هذا العمل من دون مقابل، عندئذ الويل لكَ، يا صاح... فأنا رجل حادّ المزاج... أنا يا صاح، حين أَسْتَشَاطُ غضباً، قادر تماماً على التسبّب بمصيبة. أجل!

(صخب وتصفيق وراء الكواليس)

يُسمع صوت شيبوتشين: «شكراً. شكراً. تأثّرت كثيراً».

(١) رئيس فرنسي من عهد الجمهورية الثالثة.

(شيبوتشين يدخل، لابساً بدلة، وربطة عنق بيضاء. حاملاً بيده ألبوماً قُدِّم إليه للتو).

شيبوتشين (على عتبة الباب ووجهه نحو الخارج): سوف أحتفظ بهديّتكم، يا معاونيّ الأعزاء، حتى آخر يوم في حياتي على أنّها ذكرى أفضل يوم عرفته في هذه الحياة. أجل، يا أصدقائي الأعزاء... أشكركم مجدّداً! (يبعث إليهم بقبلة بحركة من يده ويقترب من كيرين) يا عزيزي، يا كوزمانيكولاييتش المحترم! (طول الوقت الذي يمضيه شيبوتشين على المسرح، لا ينقطع دخول المستخدمين بأوراق ليوقّعوها ويخرجوا).

كيرين (واقفاً): لي الشرف بأن أهنّئك، يا أندريه أندرييتش، بمناسبة الذكرى الخامسة عشرة لمصرفنا وأتمنى أن...

شيبوتشين (وهو يشد على يده بقوّة): شكراً، يا عزيزي، شكراً. بل يسعنا في مثل هذا اليوم حسبما أعتقد، وإكراماً للذكرى، أن نتبادل العناق (يتعانقان). إنّي لسعيد كل السعادة. شكراً على خدماتك... شكراً في الحقيقة على كل شيء. وإذا كان قد أتيح لي، منذ أن نلت شرف رئاسة مجلس الإدارة، أن أقدّم فائدة ما، فأنا مدين بذلك لمعاونيّ قبل من عداهم. (يتنهد) نعم

يا عزيزي. خمسة عشر عاماً. خمسة عشر عاماً في الواقع! (بحميّة) لكن ماذا عن تقريري هل يسير العمل فيه قُدُماً؟

كيرين: أجل. ولم يبق فيه غير خمس صفحات.

شيوتشين: ممتاز. سيكون جاهزاً إذن في الساعة الثالثة؟

كيرين: سيكون جاهزاً إذا لم يزعجني أحد. فقد بقي أمامي القليل.

شيبوتشين: رائع! هذا رائع في الواقع. فالجمعية العامة موعدها الرابعة. هات إذن يا عزيزي، أعطني القسم الأول من فضلك، عسى أن أدرسه بعض الشيء... أعطني بسرعة. (يأخذ التقرير). إنّي لأبني على هذا التقرير أكبر الآمال... فهذا هو إعلان مبادئي. لا بل أسهمي النارية. أجل، إنّ ذلك أسهمي النارية وحقّ شيبوتشين! (يجلس ليدرس التقرير). إلاّ أنّي متعب لدرجة شديدة... فقد دهمتني في الليلة الفائتة نوبة نقرس، ثم انقضت ضحوة يومي كلّها في المساعي والاستعدادات لتأتي من بعد هذه الانفعالات والهتافات والاضطرابات... ألا كم أنا متعب!

كـيـرين (وهو يكـتب): اثنان . . . صـفـر . . . ثلاثة . . . تسعة . . . اثنان . . . صفر . . . صارت تتراءى لي ، لكثرة ما دونّت من أرقام ، بُقَعٌ خضراء أمام ناظريّ ، ثلاثة . . . واحد . . . ستة . . . أربعة . . . خمسة . . .

شيبوتشين: هناك منغّص آخر . . . جاءتني زوجتك هذا الصباح تشكو إليّ سوء سلوكك . وقالت لي إنّك قد لاحقتها وزوجة أخيها مساء أمس ، وأنت تحمل سكيناً بيدك . فما حقيقة الأمر يا كوزمانيكولاييتش؟ أهكذا ، أهكذا!

كيرين (بجفاء): إسمح لي ، بمناسبة هذه الذكرى السنوية ، يا أندريه أندرييتش ، أن أتوجّه إليك بهذه الطلب . أرجوك ، وليكن ذلك تقديراً فقط لما أقوم به من عمل مضنٍ ، أن لا تتدخّل في حياتي الخاصة! أرجوك!

شيبوتشين (وهو يتنهد): إنّك ذو طبع صعب ، يا عزيزي كوزمانيكولاييتش . فأنت رجلٌ رائع وموقّر ، بيد أن سلوكك مع النساء يشبه تماماً سلوك جاك ، باقر البطون ، ولست أدري لماذا تزدريهنّ ، أنت إلى هذا الحدّ؟

كيرين: أما أنا ، فلست أدري لماذا تُحبّهن ، أنت ، إلى هذا الحدّ؟

(بعض الوقت)

شيبوتشين: لقد قدّم لي الموظفون للتوّ ألبوم صور. وبلغني أنّ أعضاء اللجنة عازمون على التوجّه إليّ بكلمة تهنئة وتقديم إناء من الفضة. . . (يعبث بنظارته) لا بأس بهذا، وحق شيبوتشين! وليس الأمر بزائد عن حده. . . ذلك أنّ صيت المصرف يتطلّب شيئاً من البذخ وأيم الحقّ! أنت من خاصّتنا، وعليه فأنتَ عالم بخفايا الأمور. . . فكلمة التهنئة دبّجتها بنفسي والإناء الفضي أيضاً اشتريته بنفسي. وحرصت على أن يكون نصّ الخطاب مجلّداً، فكلّفني ذلك خمسة وأربعين روبلاً، لكنه ضروري. وما كان لهم قط أن يفكّروا في ذلك من تلقاء أنفسهم. . . (ينظر فيما حوله) والأثاث، ماذا تقول بشأنه؟ هذا يقال له أثاث. ينعتونني بالمدقّق وأنّ اهتمامي ينصبّ في الدرجة الأولى على أن تكون قبضات الأقفال لمّاعة، وأن يعقد الموظفون ربطات العنق على أحدث طراز، وأن يقف لدى الباب بوّاب ذو مهابة. لكن اعلموا يا سادتي أنّ قبضات الأقفال والبوّاب ذا المهابة ليست من سقط المتاع! إذ يسعني وأنا في بيتي أن أسلك سلوك بورجوازي صغير، فآكل بنهم وأنام كإنسان قذر أو أسكر طول أيّام وأيّام. . .

كيرين : لا داعي لأيّ تلميحات ، أرجوك !

شيبوتشين : ولكنّني لا ألمّح إلى شيء أبداً ! ألا كم أنت حادّ الطبع ! كنت أقول إذن إنّ بوسعي وأنا في بيتي أن أسلك سلوك بورجوازي صغير ، أو وصوليّ ، وأن أتصرف كما يحلو لي . أما هنا فينبغي النظر إلى كل شيء بمهابة ! نحن هنا في مصرف . وكلّ شيء هنا ، كبيراً كان أم صغيراً لا بدّ أن يكون ذا مكانة ويوحي بالازدهار . (يلتقط قطعة من ورق على الأرض ويلقي بها في المدفأة) . وإذا كان لي ما أعتزّ به فذلك أنّي رفعت سمعة المصرف عالياً ! . . . وإنّ ذلك لشيء عظيم - بلى ، إنّه لشيء عظيم وحق شيبوتشين ! (وبعد أن ألقى نظرة سريعة على كيرين) . يا عزيزي ، يمكن لوفد أعضاء المجلس . أن يصل بين لحظة وأخرى ، وأنت ما زلت تنتعل جزمة اللبد هذه ، وتحيط عنقك بهذا الوشاح . . . وترتدي هذه السترة ذات اللون الذي لا يصدّق ! هذا وكان بوسعك أن تلبس بدلة أو ترتدي على الأقل معطفاً أسود . . . !

كيرين : إنّ صحّتي لأثمن من كافة أعضاء مجلسك . فجسمي كله مصاب بالتيبُّس .

شيبوتشين (منتفضاً) **:** لكنّك ستسلّم بأنّ في هذا شيئاً من الفوضى. وأنّك تسيء إلى الإنسجام العام!

كيرين : بوسعي أن أختبئ إذا حضر الوفد. . . فالضرّر ليس فادحاً. . . (يكتب) سبعة. . . واحد. . . سبعة. . . اثنان. . . واحد. . . خمسة. . . صفر. وأنا أيضاً لا أحب الفوضى. . . سبعة. . . اثنان. . . تسعة. (يكتب) إنّي أكره الفوضى. فحسناً تفعل، والحال هذه، إذا لم تدعُ النساء اليوم إلى حفل عشاء اليوبيل. . .

شيبوتشين : ما هذه الترّهات! . . .

كيرين : أعلم علم اليقين، أنك ستدعو منهنّ ما يملأ عليك القاعة، من أجل أن تزهو وتتباهى، إلا إنّهن سيفسدن عليك كل شيء. وسوف ترى بعينك. ففعلهنّ يقتصر على إلحاق الأذى وإشاعة الفوضى.

شيبوتشين : أرى عكس ما تراه تماماً، فالمجتمع النسائي غاية في التشويق!

كيرين : أجل. . . لكن هاك على سبيل المثال زوجتك، علماً أنّها امرأة مثقّفة. لقد ألقت يوم الاثنين الماضي بقنبلة أبقتني يومين فاغر الفم ذهولاً. فقد سألتني على حين

غرّة، وعلى مسمع من غرباء : «أحقاً اشترى زوجي أسهم مصرف دراجكو - براجكي التي انهارت مؤخّراً في البورصة؟ آه كم انتاب زوجي من قلق!» وكل ذلك على مسمع من غرباء! . . . لست أدري ما الذي يدعوك لأن تستودعهنّ مثل هذه الأسرار! أم أنّك تريد منهنّ أن يوصلنكَ لتنهيَ حياتك في السجن؟

شيبوتشين: هيا، حسبك هذا، حسبك! فأفكارك الكئيبة لا تتواءم والمناسبة السنوية. لكنّك ذكّرتني أمراً على كل حال. (ينظر إلى ساعته). ينبغي أن تصل زوجتي في الحال، بل كان عليّ في الواقع أن أخفّ لاستقبالها في المحطة، فحال ضيق الوقت دونها، ناهيك . . . بما أنا فيه من تعب. أما إذا صدقْتُك القول، فقدومها لم يطربني كثيراً. بل أقصد أن أقول إنّها تروق لي، لكنّني كنت أفضّل لو أنّها مكثت أيضاً يومين عند أمّها. سوف تفرض عليّ أن ألازمها طول السهرة، علماً أنّنا كنا قد عقدنا العزم اليوم على أن نزوغ قليلاً بعد العشاء . . . (ينتفض). هيا، إليك كيف عرتني الآن هزّة عصبية! يبدو أنّ أعصابي أضحت متوتّرة جداً حتى يمكن أن أجهش لأتفه سبب بالبكاء! لكن، لا، إذ ينبغي الصمود، وحق شيبوتشين!

(تدخل تاتيانا اليكسييفنا بمعطفٍ واقٍ وهي تتمنطق بمحفظة سفر).

شيبوتشين: ماذا! يقولون اذكروا الذيب[1]! . . .

تاتيانا: يا حبيبي.

(تهرع إليه فيتعانقان طويلاً).

شيبوتشين: ها قد جئنا الآن على ذكركِ! . . .

(ينظر في ساعته).

تاتيانا (لاهثة): هل انتابكَ السأم في غيابي؟ هل أنتَ في صحة جيدة؟ لم أتوجّه بعد إلى البيت، فقد جئت مباشرة من المحطة. لديّ أشياء وأشياء أقصّها على مسامعك . . . ولن أتوانى عن ذلك . . . لن أخلع معطفي فأنا ذاهبة بعد دقيقة . . . (تقول لكيرين:) طاب يومك، يا كوزمانيكولاييتش. (لزوجها) كل شيء في المنزل على ما يرام؟

شيبتوتشين: بلى. أما أنتِ فازددت في هذا الأسبوع صحة وحلاوة . . . ولكن كيف كان سفرك؟

تاتيانا: رائعاً جداً. ماما وكاتيا تُقريانك السلام. أما فاسيلي أندرييتش، فرجاني أن أعانقك. (تعانقه). خالتي بعثت لك بإناءٍ من المربّى، وكانوا غاضبين جميعاً لأنّك

لا تراسلهم. أوصتني زينا أن أقبّلك. (تقبّله). آه، لو كنت تدري ما جرى! لو كنت تدري ماجرى! لا، بل أخشى أن أقصّه عليك! ويلي على ما جرى! بيد أنّك لست مسروراً لرؤيتي، وهذا ما أراه في عينيك!

شيبوتشين: بل العكس... يا حبيبتي.

(يعانقها. يبدأ كيرين، وقد استبدّ به الغضب، بالسعال).

تاتيانا: آه، يا لكاتيا المسكينة! مسكينة كاتيا! ألا كم أتألّم من أجلها! كم أتألّم.

شيبوتشين: يا عزيزتي، اليوم هو الذكرى السنوية للمصرف. ويمكن لوفد أعضاء مجلس الإدارة أن يصل بين لحظة وأخرى. وأنت لست بملابسك.

تاتيانا : صحيح. إنّها الذكرى السنوية! تهانينا لكم، أيها السادة... أتمنى لكم... إذن سيكون في المساء لقاء وعشاء... آه كم أهيم بذلك! والخطاب الرائع الذي انهمكت طويلاً في صياغته لأعضاء المجلس؟ هل سيقرؤونه على مسامعك اليوم؟

(كيرين يسعل متبرّماً).

شيبوتشين (وقد تضايق): يا عزيزتي، مثل هذه الأمور، لا يأتي أحد على ذكرها. أؤكّد لك أنّ عليك التوجّه إلى البيت.

تاتيانا : على الفور، على الفور. سأروي لك كل شيء في دقيقة واحدة ثم أمضي. سأبدأمن البداية. إذن، حين غادرتني، حسبما تذكر، جلست قرب تلك السيدة البدينة وطفقت أقرأ. فأنا لا أحب الحديث في القطار. فقرأت طيلة ثلاثة مواقف من غير أن أتبادل كلمة مع أحد . . . ثم ما لبث أن جُنّ الليل، وتملّكتني بقدومه مشاعر كئيبة! وكان يجلس قبالتي شاب أسمر اللون، ربعة، حسن الشكل. فتبادلنا شيئاً من الكلام . . . وجاء من بعد بحار وطالب. (تضحك). قلت لهم أنّي غير متزوّجة. لو تدري كم غازلوني! هذرنا على ذلك النحو حتى منتصف الليل. كان الأسمر الربعة يروي من الملح ما هو مضحك بشكل غريب أما البحار فما كفّ عن الغناء. أما أنا فأصابني الإرهاق لشدّة الضحك. وحين علم البحار - ويلي من أولئك البحّارة - حين علم البحّار عرضاً أنّي أدعى تاتيانا، هل تدري ماذا غنّى: (تغنّي بصوت خفيض:)

يا أونيغين، لا يسعني الكتمان
أحب تاتيانا حتى الجنون

(وأغرقت تضحك مقهقهة. وسعل كيرين متبرّماً).

شيبوتشين: حبيبتي تاتيانا، أعتقد أننا نسبّب الضيق لكوزمانيكولايتش. هيّا إلى المنزل، يا عزيزتي. . . وسوف تقصّين عليّ فيما بعد. . .

تاتيانا: لا بأس، لا بأس، ليس له إلا أن يصغي أيضاً فالواقعة مسلّية جداً. وسوف أنتهي منها على الفور. إنّ سيرغي هو الذي جاء يستقبلني في المحطة. وكان بصحبته شاب، يعمل مفتّشاً للضرائب حسبما أظن. . . كان حسن الشكل، بل كان فاتناً حقاً، لا سيما عيناه. . . فعرّفني سيرغي عليه وانطلقنا نحن الثلاثة معاً. . . وكان الجو رائعاً. . .

(تُسمع أصواتٌ من وراء الكواليس: «كلا! كلا! لا يمكن الدخول! ماذا تريدين؟»).

(تدخل ميرشوتكينا).

ميرشوتكينا (وهي تتملّص من الأيدي، لدى الباب): لماذا تمنعونني؟ ما هذه التصرّفات! ينبغي أن أقابله شخصياً! . . . (تدخل وتخاطب شيبوتشين). لي الشرف بأن أتحدّث إليكم، يا صاحب السعادة. . . اسمي ناستازيا فيودوروفنا ميرشوتكينا، زوجة أمين سر البلدية.

شيبوتشين: ماذا تريدين؟

ميرشوتكينا: تفضّل، يا صاحب السعادة. إنّ زوجي ميرشوتكين، أمين سر البلدية، أصيب بالمرض مدة خمسة أشهر. وأثناء إقامته في البيت لتلقّي العلاج، سرّحوه من غير سبب موجب، يا صاحب السعادة. وحين ذهبت لقبض تعويضاته اقتطعوا منها أربعة وعشرين روبلاً وستة وثلاثين كوبياً. فسألتهم: لماذا؟ فقالوا لي: «لأنّه أخذ مالاً من صندوق التضامن ولأنّ آخرين قد كفلوه». لكنّ هذا غير ممكن! وكأنّه استطاع أخذ المال من غير موافقتي! لكنّ ذلك غير ممكن، يا صاحب السعادة. فأنا امرأة فقيرة بلا مورد، ومعيشتي من المستأجرين عندي... إنّني ضعيفة، بلا سند. ولا أرى إلاّ والمنغّصات تحاصرني من كل جانب، وليس من يأتي لمعونتي.

شيبتوشين: هل تسمحين.

(يأخذ طلب الالتماس من يدها ويقرؤه)

تاتيانا: تتحدث إلى كيرين – ينبغي أن أستأنف من البداية... تلقّيت في الأسبوع الفائت رسالة من أمي. أخبرتني فيها أن شخصاً يدعى غرينديلفسكي تقدم طالباً الزواج

من شقيقتي كاتيا . وهو شاب فاتن ومتواضع ، لكنه لسوء الحظ بلا ثروة ولا مركز . وتخيّل من بعد أن كاتيا قد تعلّق قلبها به ، كي تكتمل المصيبة . فما العمل؟ طلبت إليّ أمي أن أحضر على الفور عسى أن أؤثّر على كاتيا . . .

كيرين (بقسوة) : أعذريني . إنّك تشوّشين أفكاري . . . فحديثك على أمّك وكاتيا جلعني لا أدري أين أنا ولا أهتدي سبيلي .

تاتيانا : وما ضرورة ذلك! فخير لك أن تصغي حين تتحدث سيدة إليك . ولم أنت ساخط اليوم إلى هذا الحد؟ أم عساكَ عاشقاً؟

(تضحك)

شيبوتشين (متحدثاً إلي ميروشوتكينا) : المعذرة، ما معنى هذا كلّه؟ أنا لم أفهم شيئاً . . .

تاتيانا : أنت عاشق؟ آه، آه! لقد احمرّ وجهه!

شيبوتشين (قائلاً لزوجته) : حبيبتي تاتيانا، إنّي منشغل بضع ثوان، يا عزيزتي، توجّهي إلى مكتبي وسوف ألحق بك على الفور .

تاتيانا : حسن جداً .

(تخرج)

تشيبوتشين : لم أفهم شيئاً من طلبك. والأرجح أنّك أخطأت باختيار المكان، يا سيدتي. فطلبك لا يقع ضمن نطاق عملنا أبداً، فتفضّلي بالتوجّه إلى المؤسّسة التي كان يعمل فيها زوجك.

ميرشوتكينا : سبق لي أن توجّهت إلى خمسة أماكن مختلفة، يا سيّدي الكريم، ولم تقبل أيّ جهة النظر في طلبي. ولقد دارت بي الدنيا. لكنّ صهري بوريس ما تفيتش، نصحني، والحمد لله، بالتوجّه إليكم: «عليك، يا حماتي العزيزة، أن تقصدي السيد شيبوتشين. فهو رجل طويل الباع وقادر على كل شيء. . . » ساعدني، يا صاحب السعادة.

شيبوتشين : يا سيدة ميرشوتكينا، لا يسعنا أن نفيدك في شيء. افهميني جيداً: لقد كان زوجك، حسبما استنتجت، مستخدماً في البلدية. أما نحن هنا، فمؤسّسة خاصة تماماً، مؤسّسة تجارية. هنا مصرف. والمسألة واضحة كل الوضوح!

ميرشوتكينا : يا صاحب السعادة، لديّ شهادة طبيّة تثبت مرض زوجي. هاكها، تفضّل بإلقاء نظرة عليها. . .

شيبوتشين (ساخطاً): أصدّقك تماماً لكنني أكرّر عليك القول إنّ ذلك ليس منوطاً بنا.

(يُسمع من وراء الكواليس ضحك تاتيانا ثم ضحك رجل).

شيبوتشين (بعد إلقاء نظرة ناحية الباب): لا بد أنّها تصرف انتباه الموظفين عن عملهم هناك. يقول لميرشوتكينا). الأمر غريب، بل ومثير للضحك. كيف لا يعرف زوجك الجهة التي ينبغي عليك أن تقصديها؟

ميرشوتكينا: ماذا بوسعي أن أعمل، يا صاحب السعادة، فهو لا يحسن شيئاً أبداً. ولا يني يردّد: «ليس هذا من شغلك. هيا انصرفي». ولا شيء غير ذلك.

شيبوتشين: أقول لكِ مجدداً، يا سيدتي، إنّ زوجك موظف في دائرة تابعة للبلدية، أما هنا فمصرف، أي مؤسسة خاصة تجاريّة...

ميرشوتكينا: بلى، بلى... إنّني أفهم يا عمّاه. في هذه الحال، أوعز يا صاحب السعادة، أن يدفعوا لي خمسة عشر روبلاً على الأقل. فأنا أوافق على عدم قبض المبلغ دفعة واحدة.

شيبوتشين (متنهداً): أُفٍّ!

كيرين: يا أندريه أندريتش، لن إتمكّن على هذه الحال من إنهاء عملي أبداً!

شيبتوتشين: أجل، على الفور. (يقول لميرشوتكينا). ألا يسعنا إذن أن ندلّك على جادة الصواب؟ إفهمي في نهاية الأمر أنّ قدومك إلينا بهذا الطلب غريب مثل تقديم طلب طلاقٍ مثلاً إلى صيدلية أو إلى مركز مراقبة الأوزان والقياسات.

(طرق على الباب. صوت تاتيانا: «أندريه، هل أستطيع الدخول؟؟»).

شيبوتشين (صائحاً): انتظري ثانية، يا عزيزتي، أنا قادم على الفور (يقول لميرشوتكينا). لم تحصلي على حسابك؟ لا أستطيع أن أعينك بشيء. ونحن، فوق هذا يا سيدتي، نحتفل اليوم بعيدنا السنوي. فنحن مشغولون جداً... ويمكن لأحد ما أن يأتينا بين لحظة وأخرى... اعذريني.

ميرشوتكينا: يا صاحب السعادة، تَرَأّف بيتيمة، فأنا امرأة ضعيفة، بلا حماية... لقد أصبحت منهكة... عليّ أن أهتم بكل شيء، بالدعاوى على المستأجرين، وبالإجراءات من أجل زوجي، وبشؤون المنزل، والآن بصهري الذي فقد عمله.

شيبوتشين : يا سيدة ميرشوتكينا، أنا . . . لا، اعذريني، لم يعد بوسعي التحدّث إليك! لقد أصابني الدّوار! أنت تزعجينني وتضيعين وقتك . . . (يتنهّد. يقول على انفراد). إنّها بليدة الذهن حتى البلاهة، وحق شيبوتشين! (إلى كيرين كوزمانيكولاييتش)، أوضح للسيدة، أرجوك . . .

(يؤدي حركة بيده ثم يخرج).

كيرين (يقترب من ميرشوتكينا قائلاً بخشونة) **:** ماذا تريدين؟

ميرشوتكينا : أنا امرأة ضعيفة، بلا حماية . . . من يراني يحسب أنّني قوية البنية، أما في واقع الأمر فليس في جسمي من عضو سليم. فلا أكاد أقوى على الوقوف وفقدت شهيتي للطعام. وشربت قهوتي هذا الصباح فلم أستَسِغْها . . .

كيرين : قلتُ لكِ ماذا تريدين؟

ميرشوتكينا : يا عمّاه، دعهم يدفعون لي خمسة عشر روبلاً، والباقي بعد شهر إن شئتَ.

كيرين : لكن يبدو لي أنّهم أفهموكِ من قبل: إنّما هنا مصرف.

ميرشوتكينا : أجل، أجل، أعرف . . . ويسعني أذا لزم الأمر أن أزوّدكم بشهادة طبيّة.

كيرين : أهذا الذي تحميلنه بين كتفيك، رأس أم ماذا؟

ميرشوتكينا : أيّها السيد، أنا لا أطلب إلا حقّي، ولا شيء سواه.

كيرين : لقد سألتك، يا سيدتي، أهذا الذي تحملينه بين كتفيك، رأس أم ماذا؟ ألا فليرِحْني الشيطان، إذ لا وقت لديّ كي أجادلك! أنا مشغول.

(يدلّها على الباب) أرجوك.

ميرشوتكينا (مندهشة): ولكن، أين مالي؟ . . .

كيرين : إنّي لأرى أنّ ما تحميلنه بين كتفيك ليس رأساً، لكن هذا.

(ينقر على الطاولة بإصبعه ثم على جبينه).

ميرشوتكينا (مغتاظة): ماذا؟ لا بأس! لا بأس! بمقدورك أن تفعل هذا بزوجتك . . . فأنا متزوّجة من أمين سرّ البلدية، تلك أنا . . . وعلى المرء أن يحافظ حيالي على الاعتبار!

كيرين (ساخطاً وبصوت خفيض): اخرجي من هنا!

ميرشوتكينا : يا هوه! يا هوه! اهدأ!

كيرين (بصوت خفيض): إن لم تخرجي من هنا على الفور، دعوتُ البوّاب! اخرجي من هنا!

(يخبط الأرض بقدمه).

ميرشوتكينا: لا بأس! لا بأس! لست بخائفة! فقد رأيت على شاكلتك كثيرين! . . . هيّا، إذن، يا للغباء!

كيـرين: أعتقد أنّي لم أرَ في حياتي مثل هذا الشيء المقرف . . . أف! لقد أخذت سورةُ الغضب برأسي . . . (يلتقطُ أنفاسه بعناء) أكرّر عليك القول مرّة أخرى . . . أتسمعينني؟ إن لم تخرجي من هنا، أيتها القردة الشمطاء، فسوف أسحقك سحقاً! أنا ذو طبعٍ كفيلٍ بإتلافكِ حتى نهاية حياتك! أنا على وشك التّسبّب في وقوعِ مصيبة!

ميرشوتكينا: الكلاب تنبح والقافلة تمرّ. أنتَ لا تخيفني! لقد رأيتُ كثيرين على شاكلتك!

كيرين (وقد عيل صبره): ما عدتُ قادراً على رؤيتها! سوف يُغمى عليّ! لقد استبدّ بي الإرهاق (يذهب إلى طاولته ويقعد). لقد أغرقوا المصرف بأكوام من النساء العاديّات. أنا لا أستطيع إنجاز تقريري! لا أستطيع.

ميرشوتكينا: أنا لا أطلب من الغير إحساناً، بل أطالب بما يخصّني، بمالي. فدونكم هذا الفظّ الوقح. وتنتعل جزمة من اللبد في مكان عام . . . أيها الفلاح . . .

(يدخل شيبوتشين وتاتيانا).

تاتيانا (وهي تسير وراء زوجها) **:** ذهبنا إلى سهرة عن آل بريجنسكي، وكانت كاتيا ترتدي ثوباً ضيقاً من الحرير الأزرق، ذا كشاكش خفيفة، ومحفوراً عند العنق . . . إنّ التسريحة العالية تلائمها جداً ولقد صففّتُ شعرها بنفسي. ألا كيف كانت تبدو بلباسها وتسريحتها! شيء يفتن!

شيبوتشين (وقد بدأ يعاني من الصداع) **:** نعم . . . نعم . . . شيء يفتن . . . يمكنهم أن يصلوا بين لحظة وأخرى.

ميرشوتكينا : يا صاحب السعادة!

شيبوتشين (منهمكاً) **:** ماذا أيضاً؟ ماذا يلزمك؟

ميرشوتكينا : يا صاحب السعادة! . . . (تدل على كيرين). هذا الذي هناك . . . أجل، ذاك نفسه . . . لقد نقر بإصبعه على جبينه ثم على الطاولة، أنت كلّفته أن يهتمّ بقضيتي، أما هو فقد سخر مني وأسمعني شتائم. أنا امرأة ضعيفة، بلا معين.

شيبوتشين : طيّب، يا سيدتي، سأرى . . . سأتّخذ الإجراءات . . . انصرفي . . . فيما بعد، فيما بعد! (على انفراد) ها أنذا، فآلام النقرس تعاودني.

كيرين (مقترباً من شيبوتشين، وبصوت خافت): أندريه أندرييتش، إبعث بطلب البوّاب، وليرم بها خارجاً. فالأمر قد أمسى في النهاية غير محتمل.

شيبوتشين (مذعوراً): كلا، كلا! سوف تنخرط بالنواح، وذلك سيؤدي إلى تجمُّع المستأجرين.

ميرشوتكينا: يا صاحب السعادة! . . .

كيرين (بصوت دامع): ينبغي أن أنجز تقريري! لن أتمكن من ذلك! (يعود إلى طاولته). لا أستطيع!

ميرشوتكينا: يا صاحب السعادة، متى سأقبض مالي إذن؟ إنّني محتاجة للمال في هذا اليوم عينه.

شيبوتشين (ساخطاً على انفراد): أيّة امرأة رهيبة وبسيطة هذه! (إلى ميرشوتكينا). سيدتي، لقد قلت لك من قبل. إنّما هذا مصرف هنا، مؤسّسة خاصّة وتجارية.

ميرشوتكينا: رأفةً بي، يا صاحب السعادة، كُنْ ربّ أسرة حقيقياً. . . إن كانت الشهادة الطبيّة لا تفي بالغرض، فبوسعي تقديم تصريح من مفوضية الشرطة. دعهم يدفعون لي هذا المال.

كيرين (متنهداً): آخ!

تاتيانا (إلى ميرشوتكينا): أيتها الجدّة، عليك أن تعقلي ما داموا يقولون لك إنّك تزعجينهم.

ميرشوتكينا : يا حسنائي الصغيرة ، يا حلوتي ، ليس من يقبل الدفاع عني . وأنا أكاد لا آكل ولا أشرب . واليوم شربت قهوتي من غير أن أستسيغها .

شيبوتشين (وقد أخذ منه الإنهاك كلّ ما أخذ ، إلى ميرشوتكينا) **:** كم يلزمك؟

ميرشوتكينا : أربعة وعشرون روبلاً وستة وثلاثون كوبيكا .

شيبوتشين : طيّب . (يُخرجُ من حافظة نقوده خمسة وعشرين روبلاً ويناولها إياها) . هاكِ خمسة وعشرين روبلاً . خذيها وانصرفي .

(كيرين يسعل متبرّماً).

ميرشوتكينا : أشكرك من كل قلبي ، يا صاحب السعادة .

(تخبّئ النقود)

تاتيانا (قرب زوجها) **:** حان الوقت كي أذهبَ إلى البيت . (تنظر في ساعتها) . لكنني لم أنته بعد . سأنتهي في غضون دقيقة وأمضي . . . أواه ، يا لَها من واقعة ! يا لها من واقعة ! ذهبنا إذن إلى بريجنسكي . . . كانت السهرة لا بأس بها ، والجوّ أقرب إلى المرح ، من غير أن يكون هناك شيء خارق . ومن الطبيعي أن يكون غرينديلفسكي ، الطامح إلى الزواج من كاتيا ، موجوداً . . . تحدّثت أنا إلى كاتيا ، وبكينا معاً وتمكّنت

من إقناعـهـا . فـأوضَحت الأمـر لغـرينديلفـسكي ، في الأمسية ذاتها وأبلغته برفضها . . . فقلت في نفسي ها إنّ الأمر قد سُوّيَ أخيراً بالحُسنى ، وسوف يطمئنّ قلبُ أمي . فـهـا هي كـاتيـا قـد نجت ، وأنا بدوري سـأكـون مرتاحة البال . طيّب ، ولكن ماذا حصل حسب ظنّك؟ كنت أتمشّى وكاتيا في أحد الممرات ، قبل موعد العشاء تماماً ، ثم بغتة . . . (منفعلة جداً) وإذ بنا نسمع بغتة صوت طلق ناري . . . كلا ، لا يسعني أن أذكر ذلك ببرود أعصاب! (تروّح بمنديلها) . كلا ، لا أستطيع .

شيبوتشين (متنهداً) : كلا ، لا أستطيع .

تاتيانا (باكية) : هرعنا صوب العريشة وهناك . . . هناك وجدنا غرينديلفسكي . . . والمسدس في يده . . .

شيبوتشين : كلا ، ما عدتُ أحتمل ! (إلى ميرشوتكينا) . ماذا يلزمك أيضاً !

ميرشوتكينا : يا صاحب السعادة ، ألا يستطيع زوجي أن يستأنف عمله؟

تاتيانا (باكية) : لقد أطلق النار على صميم قلبه . . . هنا . . . لقد غابت المسكينة كاتيا عن الوعي . أما هو نفسه فلم يكن يأتي بحركة وقد بدا عليه هلع رهيب . . . وطلب

استدعاء طبيب. فجاء الطبيب على الفور. . . وأنقذ حياة ذلك التعيس.

ميرشوتكينا: يا صاحب السعادة، ألا يستطيع زوجي أن يستأنف عمله؟

شيبوتشين: كلا، ما عدتُ أحتمل! (ينخرط بالبكاء). اطردوها! اطردوها، أتوسّل إليكم!

كيرين (مقترباً من تاتيانا): أخرجي من هنا.

شيبوتشين: كلا، ليس هي. . . بل هذه. . . أجل، هذه، هذه الهَوْلَة!

(يدل على ميرشوتكينا).

كيرين (وهو لم يفهم، يقول لتاتيانا): أخرجي من هنا! (يبخط الأرض بقدميه). هيّا انصرفي ودعيني وشأني.

تاتيانا: ماذا؟ ماذا هاك؟ هل جننت؟

شيبوتشين: هذا رهيب! لقد عيل صبري! اطردوها! ولكن اطردوها!

كيرين (إلى تاتيانا): أخرجي من هنا! سوف أدمّرك! سوف أهشّمك! سأرتكب جريمة!

تاتيانا (هاربة وكيرين يلاحقها): كيف تجرؤ؟ أنت قليل الأدب! (تصرخ:) يا أندريه، أنقذني! يا أندريه!

(تولول)

شيبوتشين (يلاحقها): كفاكم! أتوسّل إليكم! على رسلكم! إرحموني!

كيرين (وهو يلاحق ميرشوتكينا): أخرجي من هنا! أمسكوا بها! إضربوها! إذبحوها!

شيبوتشين (صائحاً): كفّوا! أرجوكم! أتوسّل إليكم!

ميرشوتكينا: يا إلهي! يا إلهي! (صارخة). يا إلهي!

تاتيانا (صارخة): النجدة! النجدة! آه! آه! لقد خارت قواي! أصابني الوهن!

(تثبُ على كرسي ثم تسقط فوق أريكة وهي تئنّ كالمغمى عليها).

كيرين (ملاحقاً ميرشوتكينا): إضربوها! أوسعوها ضرباً! إذبحوها!

ميرشوتكينا: آخ! آخ! يا إلهي! لقد غشيت عيناي! آخ!

(تسقط فاقدة الوعي بين ذراعي شيبوتشين). (يسمع طرق على الباب ويهتف صوت من وراء الكواليس معلناً: «الوفد!»).

شيبوتشين: وفد... سمعة... احتلال...

كيرين (منتفضاً): أخرجي من هنا! ألا فليأخذني الشيطان! (يشمّر عن ساعديه). أعطوني إياها! سأُنزلُ بها مصيبة!

(يدخل وفد مؤلّف من خمسة من السادة بلباس رسمي. يمسك أحدهم بنصّ الخطاب في جلده المخملي، ويحمل آخر الإناء الفضّي. ينظر موظف المصرف من باب المكتب. تاتيانا فوق الأريكة وميرشوتكينا بين ذراعي شيبوتشين، وكلتاهما تئنّ).

أحد أعضاء المجلس يقرأ صوت عال: أيها السيد أندريه أندرييتش، أيها الغالي على قلوبنا والفائق التقدير. إذا ما ألقينا نظرة مرتدّة على ماضي مؤسستنا المالية وجُلنا بخيالنا مع مجرى نموّها المتواصل، امتلأت أنفسنا بانطباع متألّق حتى أرفع مستوى. إنّ المراحل الأولى من قيامها، وما رافقها من قلّة رأس المال الموظّف، وعدم حصول أيّ عملية واسعة النطاق، مع عدم الدقّة في تحديد الهدف المراد بلوغه، فرضت على نحو مسيطر طرح سؤال هاملت: «أن نكون أو لا نكون». فيما ارتفعت أصوات تؤيّد إغلاق المصرف. ثم ها أنت تبرز على رأس المصرف! إنّ معارفك وطاقتك وحسّك الأصيل المرهف أضحت مصدر نجاح فاق الآمال، وازدهار لا مثيل له، إنّ سمعة المصرف... (يسعل) إن سمعة المصرف...

ميرشوتكينا (وهي تئن): آخ! آخ!
تاتيانا (وهي تئن): ماء. ماء. أريد شيئاً من الماء!
عضو المجلس (مستأنفاً): إنّ سمعة. (يسعل). إنّ سمعة المصرف قد ارتقت بفضلك إلى مستوى عالٍ حتى أنّ بوسع مؤسستنا الآن أن تنافس أفضل المؤسّسات الأجنبية...
شيبوتشين: وفد... سمعة... احتلال... كانت حمامتان تتبادلان حباً رقيقاً... الحب وليد بوهيميا التي لم تعرف قانوناً على الإطلاق...
عضو المجلس (يستأنف مرتبكاً): وإذا ما ألقينا من بعد نظرة موضوعية على المواقف توجّب علينا أيها السيد أندريه أندييتش المبجّل والمحترم... (خافضاً نبرته). أما والحال هذه، فسوف نعود فيما بعد... أجل، ذلك أفضل، سوف نعود فيما بعد.
(يخرجون مرتبكين).

ستـار